الوحدة الثانية: الأسس الفلسفية والمعرفية لمجتمع المعرفة

تمهيد:

تمثل الفلسفة الإطار الفكري الأساسي الذي يمكننا من خلاله فهم طبيعة المعرفة وجوهرها في المجتمعات المعاصرة، فالفلسفة ليست مجرد تأملات نظرية مجردة، بل هي أداة منهجية تساعدنا على طرح العديد من الأسئلة حول ماهية المعرفة، وكيف نكتسبها، وما هي حدودها وإمكانياتها، وفي سياق مجتمع المعرفة، وعندما نتحدث عن التعريف الفلسفي للمعرفة، فإننا نشير إلى ما يعرف بنظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا، والتي تعني الفرع الفلسفي الذي يبحث في طبيعة المعرفة ومصادرها ومعاييرها. وقد عرّف الفلاسفة المعرفة على أنها "الاعتقاد الصادق المبرر"، أي أنها ليست مجرد معلومة نحفظها، بل هي فهم عميق مبني على أسس منطقية وتجريبية يمكن الدفاع عنه، وتتنوع أنواع المعرفة بين المعرفة النظرية التي تتعلق بالحقائق والمفاهيم، والمعرفة العملية التي ترتبط بالمهارات والخبرات، والمعرفة الضمنية التي نمتلكها دون القدرة على التعبير عنها بوضوح.

وعليه في سياق مجتمع المعرفة، تتجاوز المعرفة كونها مجرد ملكية فردية لتصبح رأس مال اجتماعي واقتصادي يحدد مكانة الأفراد والمجتمعات. فمجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يعتمد في تطوره وازدهاره على إنتاج المعرفة وتوزيعها واستثمارها، وليس فقط على الموارد الطبيعية أو رأس المال المادي. هذا التحول الجوهري يجعل الفلسفة ضرورية لفهم كيف تتشكل المعرفة، وكيف تنتقل بين الأفراد والمؤسسات، وكيف تؤثر في البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

1-النظريات الفلسفية المرتبطة بالمعرفة

لقد شهد تاريخ الفلسفة تطور مدارس فكرية متعددة حاولت فهم طبيعة المعرفة ومصادرها، وكل مدرسة من هذه المدارس قدمت إسهاما كبيرا في تشكيل فهمنا المعاصر لمجتمع المعرفة، حيث تبرز المدرسة العقلانية التي يمثلها فلاسفة أمثال ديكارت وسبينوزا ولايبنتز، والتي ترى أن العقل هو المصدر الأساسي للمعرفة الحقيقية، وأن المعرفة الموثوقة تأتي من المبادئ الأولية الفطرية والاستدلال المنطقي، وهذا التوجه العقلاني يجد صداه في مجتمع المعرفة المعاصر من خلال التركيز على التفكير النقدي والتحليل المنطقي والقدرة على بناء الأنظمة المعرفية المتماسكة.

وفي المقابل، قدمت المدرسة التجريبية التي مثلها جون لوك وديفيد هيوم وجون ستيوارت ميل رؤية مختلفة، حيث أكدت على أن المعرفة تأتي من التجربة الحسية والملاحظة التجريبية، حيث ترى هذه المدرسة أن العقل البشري يبدأ كصفحة بيضاء تملؤها التجارب والخبرات الحسية، فهذا التوجه التجريبي يشكل أساسا فلسفيا للمنهج العلمي الحديث وللبحث التطبيقي الذي يميز مجتمع المعرفة، حيث تُقيَّم المعرفة بناءً على قابليتها للاختبار والتحقق التجريبي.

أما البنيوية وما بعد البنيوية، فقد قدمتا منظورا أكثر تعقيدا حول المعرفة، إذ أكدتا على أن المعرفة ليست انعكاسا مباشرا للواقع، بل هي منتج اجتماعي وثقافي يتشكل من خلال البنى اللغوية والثقافية والسلطوية ففلاسفة مثل ميشيل فوكو أظهر كيف أن المعرفة مرتبطة بعلاقات القوة والسلطة في المجتمع، وكيف أن ما نعتبره "حقيقة" هو في كثير من الأحيان نتاج خطابات اجتماعية معينة.، وهذا الفهم النقدي للمعرفة له أهمية كبيرة في فهم مجتمع المعرفة المعاصر، خاصة في ظل الحديث عن الهيمنة الرقمية والاحتكار المعرفي والفجوة المعرفية بين المجتمعات.

وتتكامل هذه المدارس الفلسفية لتشكل فهما متكاملا لمجتمع المعرفة: فالعقلانية تذكرنا بأهمية التفكير النقدي والمنهجي، والتجريبية تؤكد على ضرورة البحث العلمي والتحقق التجريبي، والبنيوية تنبهنا إلى البعد الاجتماعي والسلطوي للمعرفة. كل هذه الرؤى ضرورية لفهم كيف يتشكل مجتمع المعرفة وكيف يمكن أن يكون أكثر عدالة وشمولية.

2-الأسس المعرفية لمجتمع المعرفة

يتميز مجتمع المعرفة المعاصر بتعدد أنماط المعرفة وتنوع مستوياتها، مما يتطلب فهما دقيقا للتمايزات بين هذه الأنماط. تبرز أولاً **المعرفة الصريحة أو الظاهرة**، وهي المعرفة التي يمكن توثيقها ونقلها بسهولة عبر الكتب والمستندات وقواعد البيانات، مثل الحقائق العلمية والإجراءات المكتوبة والنظريات الموثقة.

وفي المقابل، هناك **المعرفة الضمنية أو الباطنة**، وهي تلك المعرفة المتجذرة في الخبرة الشخصية والحدس والمهارات الممارسة، والتي يصعب نقلها بشكل مباشر، مثل الحكمة المهنية والبراعة الحرفية والفهم السياقي العميق.

التمييز بين المعرفة المعلوماتية والمعرفة التطبيقية يمثل محورا أساسيا في فهم مجتمع المعرفة. المعرفة المعلوماتية تشير إلى البيانات والمعلومات المنظمة التي نجمعها ونخزنها، وهي تمثل الجانب "المعرفي" من المعرفة - أي معرفة "ماذا".

أما المعرفة التطبيقية فتتجاوز ذلك إلى معرفة "كيف" و"لماذا"، وهي تتضمن القدرة على استخدام المعلومات في سياقات عملية، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات المستنيرة، والابتكار والإبداع. في مجتمع المعرفة الناضج، لا يكفي امتلاك كميات هائلة من المعلومات، بل الأهم هو القدرة على تحويل هذه المعلومات إلى معرفة قابلة للتطبيق تخلق قيمة مضافة.